معالم الحياة الطيّبة في الحياة الأُسريّة
للإمام علي والسيّدة الزهراء عليهما السلام

السيد نبيل الحسني

باحث في الفكر الإسلامي وأستاذ في الحوزة العلمية / كربلاء

ملخص البحث

تمثّل الحياة الأُسرية في بيت علي وفاطمة عليهما السلام الأنموذج الأمثل لمقتضيات الحياة الطيّبة التي حددها القرآن الكريم في ركنين أساسيين وهما العمل الصالح والإيمان، وقد أظهرت النصوص التاريخية والحديثية معالم هذين الركنين في حياتهما عبر جملة من القواعد الحياتية التي كوّنت أصول العلاقة الزوجية والأُسرية فكان سمتها القناعة والطيب والهناء.

ومن ثَمَّ: فالبحث يناقش معالم الحياة الطيّبة عبر المواشجة بين النصّ القرآني وما سعت إليه الدراسات المعاصرة في علم اجتماع الأسرة وعلم اجتماع العائلة ، فضلًا عن تنوع الدراسات التربوية والنفسية، وذلك أنّ مفهوم مصطلح العمل الصالح عام وشامل وغير مقيد وهو يصلح لجميع الأُسر بغض النظر عن المعتقدات والثقافات؛ ولذا عممه القرآن على الذكر والأنثى، فكل عمل صالح يحقق النمو لكنه لا يكوّن حياة طيّبة وذلك لخلوها من الإيمان؛ ولذا كان بيت علي وفاطمة عليهما السلام مثالًا للحياة الطيّبة الفاضلة.

المقدّمة

"الحَمْدُ لله عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُكْرُ عَلى ما أَلْهَمَ، والثَناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغُ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، "[1].

والصلاة والسلام على خير النّعم ومكامن القيم أبي القاسم محمّدٍ وعلى آله "أساس الدين وعماد اليقين"[2] وسلّمَ تسليما كثيرًا.

وبعد:

فإنّ من أهمّ النّعم الإلهيّة على الإنسان أنْ خلق له من نفسه زوجًا، وجعل له سكنًا ليلتجئ إليه، وعيشًا ليهنئ فيه، فجللّه بالمودة والرحمة، وأوثقه بالإيمان، وقيّده بالمعروف والإحسان[3]، فجعل فيما يفضي أحدهما للآخر بالميثاق الغليظ[4]؛ ليكون عيشهما مسومًا بالصلاح، ويثمر بالفلاح ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[5].

وقد قدّم الإسلام عِبّر الحياة الأسرية لعلي وفاطمة عليهما السلام مثالًا للبشرية في تكوين الأسرة التي تتسم بالحياة الطيّبة، وذلك عِبْر جملة من القواعد الحياتية التي سنّها النبي صلى الله عليه وآله لهما، والتي ترتكز على سِمة الصلاح والإيمان بالله تعالى لينال بذلك ما وعد الله به الذكر والأنثى من إحرازهما الحياة التي وسمها (جلّ شأنه) بالطيّبة، وليتبلور بهذا المنهاج القناعة بالعيش المشترك، وتقاسم الواجبات وبلوغ الحياة الفاضلة.

فضلًا عن ذلك فقد كشفت هذه القواعد والمنهاج الذي سنّه النبي صلى الله عليه وآله عن الحلول الناجعة ومعرفة الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى ورود المصاعب والهموم والمشاكل على كثيرٍ من الأسر وذلك لخلوها من العمل الذي قيّده القرآن بالصالح ومن الإيمان بما فرض الله تعالى على الرجل والمرأة من واجباتٍ وما أعطاهما من حقوق.

ومن ثَمَّ، فقد اشتمل البحث على تمهيد ببيان معنى مفردات العنوان ومناهله المعرفية، وثلاثة مباحث تتفرع إلى بعض المسائل، وخاتمة بالنتائج.

فأمّا المبحث الأول: فقد خُصّص لبيان معنى الأسرة ومفهومها في القرآن والسُنّة والمواثيق الدولية، وذلك لدفع كثير من المفاهيم المغلوطة في تكوين الأسرة، ولاسيّما ما يشهده كثير من المجتمعات الغربية في عالم اليوم.

والمبحث الثاني: تناول القواعد التي وضعها رسول الله ﷺ لتأصيل الحياة الأسرية وأثرها في تكوين معالم الحياة الطيّبة، وتشمل (قاعدة التكافئ الزواجي)، و(قاعدة المودة والرحمة).

والمبحث الثالث: تناول بيان منهاج النبيّ ﷺ بتقسيم المسؤوليات الحياتية بين علي وفاطمة عليهما السلام وأثره في تكوين معالم الحياة الطيّبة، ويشمل مراعاة وضع المرأة البدني والنفسي، والإنصاف في تقسيم المسؤوليات والمساواة بينهما، وتقديم الجانب الإنساني في التقسيم.

فإنْ أصبت فذلك مبلغ علمي ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾(٦)، ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾(٧).

التمهيد: معنى مفردات العنوان ومناهله المعرفية.

أولًا ـ معنى المَعْلَم .

ترشد معاجم اللغة إلى أنّ معنى المَعْلَم بسكون العين وفتح اللام، هو: العلامة، والدلالة، والأثر الذي يرشد الإنسان إلى مقصده سواء كان في الطريق أم الفعل أم السمة، فقولهم: "مَعْلَمُ الطريق: دَلالتُه، وكذلك مَعْلَم الدِّين على المثل. ومَعْلَم كلِّ شيء: مظِنَّتُه، وفلان مَعلَمٌ للخير كذلك، وكله راجع إلى الوَسْم والعِلْم، وأَعلَمْتُ على موضع كذا من الكتاب عَلامةً. والمَعْلَمُ: الأَثرُ يُستَدَلُّ به على الطريق، وجمعه المَعالِمُ"(٨).

ثانيًا ـ معنى مصطلح (الحياة الطيّبة) ومفهومه في القرآن والسُنّة.

١ـ معنى مصطلح الحياة الطيّبة في القرآن.

يتكون المصطلح من مفردتَي (الحياة) و(الطيّبة) وبالرجوع إلى معناهما اللغوي يتضح مفهوم وسم القرآن للحياة بالطيّبة وخصوصية انحصارهما في العمل الصالح والإيمان في قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(٩).

فقد أرشدت اللغة إلى أنّ معنى "الحياة: ضد الموت، والحي: ضد الميت، والمحيا: مفعّل من الحياة"(١٠). ومعنى: "الطيِّبُ من كلّ شيءٍ: أَفضَلُه. والطَّيِّباتُ من الكلام: أَفضَلُه وأَحسنُه"(١١).

ومن ثمَّ: فدلالة النصّ القرآني للحياة الطيّبة يراد بها: الحياة الفاضلة، أو تقديم ما هو الأفضل في الحياة أو أنْ يعيش الأنسان الحياة الأفضل في كلّ شيء، وعند عرض هذا المفهوم على الحياة الأسرية للإمام علي وفاطمة عليهما السلام فإنّها سمتها وعلامتها بأنّها أفضل أسرة يحتذى بها لتكوين الحياة الطيّبة والأمثل في معْلَميّ العمل الصالح والإيمان.

٢ ـ معنى الحياة الطيّبة في السُنّة.

ترشد النصوص الشريفة عن العترة النبويّة عليهم السلام إلى أنّ الحياة الطيّبة التي نصّ عليها القرآن وحَدَّها بالعمل الصالح والإيمان بأنّها: القناعة. فقد روى الشريف الرضي (رحمه الله) (ت٤٠٦هـ)، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه سُئل عَنْ قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّه حَياةً طيّبة﴾؟ فَقَالَ: "هِيَ الْقَنَاعَةُ"(١٢). وروى الشيخ الطوسي (رحمه الله) (ت٤٦٠هـ) بسنده عن الإمام علي الهادي، عن الجواد، عن الرضا، عن الكاظم عليهم السلام، قال: قال سيدنا الصادق عليه السلام) في قوله: ﴿**فلنحيينه حياة طيّبة**﴾؟ قال: "**القنوع**"(١٣).

وروى الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، والبيهقي (ت٤٥٨هـ) كلاهما عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن قوله تعالى: ﴿**فلنحييه حياة طيّبة**﴾، قال: "القنوع"، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو، فيقول: "**اللهم أقنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف على كل غائبة لي بخير**"(١٤).

٣ ـ المفهوم التركيبي لمصطلح الحياة الطيّبة بين القرآن والسُنّة وأثره في الحياة الأسرية.

إنّ النصوص الكاشفة عن مفهوم (الحياة الطيّبة) ومعناه في السُنّة لا تعني المغايرة مع المعنى اللغوي الذي مرّ بيانه، وإنّما تقدم السُنّة مفهومًا تامًا عن الحقيقة الشرعية للحياة الطيّبة للرجل والمرأة؛ وذلك أنّ اجتماع المفهومين للحياة الطيّبة في القرآن والسُنّة ينتج عنه بيان السِمة والعلامة التي اتسمت بها الحياة الأُسرية لعلي وفاطمة عليهما السلام، وهي القناعة بما خصّ الله الرجل والمرأة من واجبات، والرضا والتسليم لما حدّد لهما من مهامٍ ومسؤولياتٍ ليُكمّل كلٌّ منهما الآخر في بناء الحياة الأسرية الأمثل، وهو ما سنعرض له عبر المباحث ومسائلها، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: معنى الأسرة ومفهومها في القرآن والسُنّة والمواثيق الدولية.

يعدّ أمر الوصول إلى تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للأسرة ومفهومها من الأمور العسيرة على الرغم من "أنّ مدلول الأسرة معروفٌ لدى جميع الناس، وموجودٌ في كلّ مكان"[١٥]؛ وذلك لاختلاف المفاهيم والثقافات المجتمعية قديمًا وحديثًا، بل أننا لنجد أنّ الثقافات المعاصرة لأعسر في الوصول إلى معنى الأسرة ومفهومها ولاسيّما ما يشهده العالم من تصدير لمصطلحات تستظلّ بمظلة أحقيّة الفرد في حرية الاختيار في تكوين الأسرة وبغض النظر الى النوع والجنس وإنْ كانت تتعارض مع الثوابت الشرعية للديانات السماوية المقتضية اجتماع الرجل والمرأة برابطٍ شرعي تحت سقفٍ واحد .

وقد أرجع المختصّون في علم اجتماع العائلة الصعوبة في الوصول إلى تعريفٍ الأسرة إلى أنّه يكمن في دلالة المفردة نفسها، "فهل الأسرة النواة الصغيرة، الزوجان وأطفالها؟ هل العلاقات بين الزوج والزوجة، أم العلاقات القائمة بين الوالدين والأطفال هي عماد الأسرة؟ هل تضمّ الأسرة كلّ شجرة الأسرة، جميع الأقارب الأعمام والعمات، الأخوال والخالات، والجدود والجدات، إضافةً إلى الزوجين وأطفالها وأبناء هؤلاء الأطفال وبقية الأقارب من الدرجة الثانية والثالثة، أو ما نطلق عليه العائلة أو العيلةهي الأسرة؟"[١٦].

بينما يصبّ أحد الباحثين تساؤلاته عن: "العناصر التي يمكن إغفالها عند تعريف الأسرة هل هي: روابط الدم، روابط الزواج، معيشة الأفراد مع بعضهم البعض وشعورهم بالولاء، وبالمماثلة والتطابق، أم هي بعض هذه العناصر؟ وكيف تختلف قيمة تجربة الحياة في جماعات نطلق عليها أُسر، في جماعات أخر لا نعدّها أسرية؟ وهل يمكن تطبيق تعريف معين للأسرة على كلّ الثقافات، وفي كلّ العصور التاريخية"[١٧]؟

ولذلك كلما تقدّم الزمن ازداد مفهوم أو تعريف الأسرة صعوبة، ولاسيما في العصر الحديث، حيث ظهرت (الأسر العصرية) التي: "لا تأتلف رابطتها من أجل الإنجاب، بل قد يتعاقد الزوجان على إقصائه، كما لا تكون مكوناتها هي الأب والأم والأولاد، ولا تربطها علاقة أب وأم"[١٨] والعياذ بالله.

ومن ثَمّ: تتجلى لدينا الحكمة في تقنين القرآن للحياة الطيّبة التي يسعى إلى نيلها الرجل والمرأة على حدٍّ سواء بالعمل الصالح والإيمان بالله تعالى، وتتجلّى لدينا أهمية دراسة معالم

الحياة الأسرية للإمام علي والبضعة النبوية فاطمة عليها السلام بوصفها الأسرة الأفضل والأثر الأمثل الذي يحتذى به للوصول إلى الحياة الطيّبة المثمرة. ولاسيّما عند دراسة التعاريف والمفاهيم التي صدرت عن المنظمات الدولية والحقوقية وما عقدته من مواثيق ومعاهدات ركزت على الحريات الشخصية وأهملت الصلاح لبني الإنسان والحفاظ على قيمته وسمته الإنسانية.

ومن ثمَّ، لا بدّ من المرور بهذه التعريفات لنصلّ إلى معرفة تقنين الإسلام لنظام الأسرة، والحرص على وسمها بالحياة الطيّبة، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: الأسرة لغةً

هي: الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرته، ورهطُه الأَدْنَوْنَ؛ لأنّه يتقوى بهم. وتطلق على الجماعة يربطها أمرٌ مشترك، وجمعها: أُسر[١٩].

المسألة الثانية ـ مفهوم الأسرة في القرآن والسُنّة.

١ـ مفهومها في القرآن.

يتسق المعنى اللغوي مع القرآن والسُنّة في بيان مفهوم الأُسرة ومعناها بأنّه الآل والأهل والعشيرة، فقد أشارت الآيات في قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٢٠].

وقوله: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[٢١]، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[٢٢]، وغيرها من الآيات إلى مفهوم الأسرة.

٢ـ مفهومها في السُنّة.

أمّا السُنّة، فقد صرّحت بلفظ الأسرة ومعناه في أهل الرجل وآل بيته، ومنها:

١ ـ قوله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين الذي أخرجه مسلم النيسابوري في صحيحه عن زيد بن أرقم، قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وآله يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خمًّا... إلى أنْ يقول: فحثّ على كتاب الله ورّغب فيه، ثم قال صلى الله عليه وآله: "**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**". فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس..."[٢٣].

ويكشف النصّ عن معنى الأسرة عند العرب وارتكازه في آل الرجل، وهم ولده، وممّا يدلّ عليه:

٢ ـ قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في صفة النبيّ صلى الله عليه وآله: "**حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ الله سُبْحَانَه وتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَأَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتًا، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِسًا، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه، عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ**"(٢٤).

ومن ثَمَّ، يتحدد مفهوم الأسرة ومعناه في القرآن والسُنّة مع اللغة في الآل والأهل والعشيرة، لكنّه يتفاوت في القرب والبعد مع تعاريف علم اجتماع العائلة والمنظمات الدولية التي تعنى بحقوق الإنسان والأسرة، وهو كما يلي:

المسألة الثالثة: مفهوم الأسرة في علم الاجتماع والمواثيق الدولية.

١ـ تعريفها في علم الاجتماع.

تتعدّد المفاهيم التي تناولت موضوع الأُسرة في علم الاجتماع، إلاّ أنّ المفهوم الذي قدمته السيدة ديان كارو (Diane Gareau) الكندية، يكشف عن رؤيةٍ تتناغم مع الحسّ الروحي الذي جاء به قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾(٢٥)، فتقول: "هناك حيث تبدأ التربية، وهناك، حيث تتشكل قيمنا الأخلاقية، وهناك، حيث يتحسس البشر بيئته الاجتماعية، وهنا حيث يحتضن المودة، فذلكم هو ما ينبغي أن تكون عليه الأسرة"(٢٦).

ويخلص التعريف والمفهوم إلى الركائز التي حثّ عليها الإسلام في بيان معالم الحياة الطيّبة عبر القيم الأخلاقية والتربية عليها، والتي تجمعها المودة كما سيمر بيانه في الحياة الأسرية لعلي وفاطمة عليهما السلام.

٢ ـ تعريفها في وثيقة الاتحاد الدولي لمنظمات الأسرة (U.I.O.F)

لم تغفل المنظمات الدولية عن أهمية الأسرة وأثرها في تكوين المجتمعات والقيم التي تسودها فهي ـ أي الأسرة ـ : النواة التي تكوّن المجتمع وأخلاقياته، فقد جاء في المادة الأولى من المشروع الذي أعدّه الاتحاد الدولي لمنظمات الأسرة، Union Intrenationale Des Organisations Famille (Dela) تعريف جامع لمفهوم الأسرة ومحدّد لمسؤولياتها ووظائفها، فالأسرة "هي العنصر الأساسي للمجتمع، يمارس أعضاؤها وظائف، ولهم حقوق، وعليهم واجبات.

والأسرة: حقيقة واقعة لا يمكن الاستغناء عنها، وهي تضطلع بمسؤولية التربية والتكوين والتثقيف، وتساهم في بناء الاقتصاد، وإرساء قواعد المجتمعات. وهي: إطارٌ طبيعيّ لتوفير تربية وعيش رغيد لأعضائها، وهي: مكانٌ متميّزٌ للتبادل والأخذ والعطاء بين مجتمعاتها"[٢٧].

ومن ثَمَّ: تتوافق هذه المفاهيم مع المفاهيم التي جاء بها الإسلام في بيان معنى الأسرة ومفهومها وما يترتّب عليها من مهامٍ وواجباتٍ، وما يناط بها من وظائف يتقاسمها الرجل والمرأة بوصفهما العنصرين الأساسيين لتكوين الأسر، وسبل الترابط مع غيرها لتكوين المجتمعات، سواء بمكونها العشائري أم القبلي أم المجتمعي .

لكن هذه التعاريف لم تركز على أثر العمل الصالح والإيمان في تكوين الحياة الأسرية التي تنعم بالطيب والهناء، وإنْ اقتربت في بعض عناصرها من المفاهيم الإسلامية.

من هنا: نجد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قدّم للأمة الأنموذج الأمثل للحياة الطيّبة التي تسود الأسرة، وذلك عبر الحياة الأسرية التي جمعت تحت مظلتها الإمام علي وبضعة النبوة فاطمة عليها السلام، كما في المبحثين الآتيين:

المبحث الثاني: القواعد التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله لتأصيل الحياة الأُسرية وأثرها في تكوين معالم الحياة الطيّبة

تدور معالم الحياة الطيّبة في النصّ القرآني في العمل الصلح والإيمان، وعند عرضهما على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله الذي وضعه لبيت علي وفاطمة عليهما السلام بالمعنى الأخص، ولجميع الأسر بالمعنى الأعم نجده يشمل (قاعدة التكافئ الزواجي)، و(قاعدة المودة والرحمة).

فهاتان القاعدتان تستندان إلى العمل الصالح، وبذلك تصلحان لجميع الأسر وبغض النظر عن الدين أو الثقافة التي يحملها الذكر والأنثى، كما نصت عليه الآية المباركة – موضع البحث – فالتكافئ بين الرجل والمرأة هو في أصله يقود إلى صلاح الحياة الأسرية بين الزوجين، وكذا المودة والرحمة، ولكنّهما لا تكفيان لخلق الحياة الأُسرية الأمثل لخلوهما من الركن الثاني وهو الإيمان بالله تعالى والامتثال لما أمر به، والنهي عما نهى عنه في الحياة الأُسرية.

ومن ثَمَّ، فقد ركّزت الدراسات المعاصرة في علم اجتماع الأُسرة والعائلة والنفس وغيرها على أهمية (التوافق الزواجي)، و(المودة بين الزوجين) في إنجاح الحياة الأسرية، والذي عُرف

في السُنّة النبويّة بـ (التكافؤ الزواجي) وقاعدة (المودة والرحمة) بوصفهما معلمين أساسين في الحياة الأسرية التي تسعى إلى الحياة الطيّبة.

المسألة الأولى: قاعدة (التكافؤ الزواجي) في السُنّة وما يقابلها من قاعدة (التوافق الزواجي) في العلوم الاجتماعية.

ترجع قاعدة التكافؤ الزواجي في السُنّة إلى إعراض النبيّ ﷺ عن جميع الذين تقدّموا لخطبة فاطمة عليها السلام وردّهم، وتزويجها للإمام علي عليه السلام. وقد كشفت الروايات عن العلّة في ذلك، فضلًا عن بيانها لقاعدة التكافؤ الزواجي وأهميتها في الحياة الأُسرية.

ومن ثَمَّ، فقد قدمتها السُنّة النبوية بوصفها أحد أهم معالم الحياة الطيّبة في الحياة الأسرية، وذلك لأرتكازها على القناعة المتبادلة بين الرجل والمرأة وفق مبدأ التكافؤ الشخصي والاجتماعي بينهما.

فقد أخرج الكليني والشيخ الصدوق (رحمهما الله) عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: "**لَوْ لَا أَنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِفَاطِمَةَ عليها السلام مَا كَانَ لَهَا كُفْوٌ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ آدَمَ ومَنْ دُونَه**"[٢٨].

ومن ثَمَّ، توّجه الرواية الرجال والنساء إلى ضرورة اختيار شريك الحياة الكفؤ ولاسيما أنّ الثقافة المجتمعية غالبًا ما تظهر اعتناء الرجال بالاختيار والبحث عن المرأة الكفؤ، لكنها ـ أي هذه الثقافة المجتمعية ـ تهمل اعتناء المرأة في اختيار الكفؤ لها ممّا يؤثّر سلبًا على خلق الحياة الطيّبة في الحياة الأسرية.

إذ يشكل التكافؤ بين الزوجين الأرضية التي تنمو فيها جذور الحياة الطيّبة وذلك لسعة دائرتها المعاملاتية بين الزوجين أبتداءً من فهم الذات وانعكاسه على فهم الآخر، وانتهاءً بالسمات الشخصية والمجتمعية والعلمية؛ وذلك لما يترتب على التكافؤ الزواجي من تكوين معالم الحياة الطيّبة بين الزوجين.

من هنا، أهتمت الدراسات المعاصرة بقاعدة (التوافق الزواجي) لتكون بموازات قاعدة (التكافؤ الزواجي) التي قننتها السُنّة النبويّة وبيّنتها روايات أهل البيت عليهم السلام، وإنْ أختلف معنى (التوافق) مع (التكافؤ) في اللغة إلاّ أنّهما يتسقان في المفهوم.

فالتوافق بين الزوجين بصفةٍ عامة "يريده الإنسان هدفًا ويتخذه وسيلةً لتحقيق هذا الهدف، وهو يستهدف الرضا من النفس وراحة البال، والاطمئنان نتيجة الشعور بالقدرة الذاتية على التكيف مع البيئة والتفاعل مع الآخرين، وحسن التعامل مع الغير"(٢٩).

ولو رجعنا إلى (التكافؤ) لوجدناه يتّسق مع (التوافق) في الوصول إلى الهدف، إي الحياة الطيّبة ومعالمها في الرضا وراحة البال والاطمئنان، "والتحرّر النسبي من الصراع والاتفاق النسبي بين الزوجين على الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة، وكذلك المشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة وتبادل العواطف"(٣٠).

"والتوافق الزواجي لكونه يقوم على أساس علاقةٍ متبادلةٍ بين زوجين لكلّ منهما تنظيمه الخاصّ للشخصية من حيث سماتها وإطارها المرجعي الذي يحدد الميول والاتجاهات والقيم وأساليب المعاملة الزوجية؛ لذا لا تخلو الحياة الزوجية السعيدة من بعض الاختلافات التي تتحول بالتفاهم والمصارحة إلى مدعم جيد ومنشط بين الزوجين، وعلى قدر نجاح الزوجين في تحقيق هذه المهمة يكون التوافق الزواجي".

ومن ثمّ، فقد أوضحت الدراسات المعاصرة: "أنّ التوافق الزواجي يتوقف على عوامل شخصية واجتماعية" (٣١). وهو المفهوم نفسه الذي تدعو إليه السُنّة النبوية في قاعدة التكافؤ واثرها في تكوين معالم الحياة الطيّبة في الحياة الأُسرية لعلي وفاطمة عليهما السلام عبر التكافؤ في شخصيتهما، وأنّ القناعة بينهما في قبول الآخر والعيش المشترك يرتكز على عنصر التكافؤ المقنن، بمعنى لم تكن القناعة التي يعبر عنها كثير من الرجال والنساء في عالم اليوم مرتكزة على حرية الرأي المنفلت من الضوابط الشرعية والشخصية والاجتماعية، وإنّما على جملةٍ من الضوابط التي قننت معنى القناعة وحقيقتها اللغوية والشرعية والاجتماعية.

المسألة الثانية: قاعدة المودة والرحمة

في التأصيل للركن الثاني في السّنة النبوية المتضمن لقاعدة المودة والرحمة وأثرها في تكوين معالم الحياة الطيّبة وإبرازها في الحياة الأسرية لعلي وفاطمة عليهما السلام بنحوٍ خاصّ وذلك بوصفها الحياة الأمثل لما قننته الآية المباركة والسّنة النبوية، وللحياة الأُسرية بين الرجل والمرأة بنحوٍ عامّ.

فإنّ الدراسات المعاصرة لم تغفل أثر هذه القاعدة في بناء الحياة الأسرية التي تسعى إلى النماء وإضفاء الهدوء والاستقرار والتفاعل بين الشريكين وصولًا الى تحقيق جانب من الهناء الأُسري،

وذلك "أنّ هذا الأسلوب يقوم على احترام ذاتية الآخر واعتباره شريكًا وليس تابعًا يعتمد على الأخذ والعطاء المتبادل، المشاركة الوجدانية، الانسجام والتفاهم، في ظلّ هذا الأسلوب يتم مبادلة الآراء واحترامها، وتبادل الثقة وتدعيمها، فتنمو العواطف نموًا سليمًا، وتستقيم الحياة الزوجية ويكتب لها النجاح والتوافق الزواجي السوي"(٣٢).

وهذه المشاركة الوجدانية حينما تقوم على الإيمان بما خصّ الله الأسرة من كرامةٍ ومنزلةٍ وعنايةٍ، فإنّ معالم الحياة الطيّبة تكون ظاهرةً وجليةً فيها ولاسيّما فيما يرتبط بالمسؤوليات الحياتية بين الرجل والمرأة بوصفهما ركني الأسرة وعنصري الحياة فيها، وهو ما سنتناوله في المبحث القادم.

المبحث الثالث: منهاج النبي صلى الله عليه وآله بتقسيم مسؤوليات الحياتية الأُسرية بين علي وفاطمة عليهما السلام وأثره في تكوين معالم الحياة الطيّبة

لم يزل النبيّ صلى الله عليه وآله يُشرف على سير بناء الحياة الأُسرية للإمام علي وسيّدة النساء فاطمة عليهما السلام وتقديمها للأمة بوصفها الأسرة الأمثل والسبيل لبلوغ الحياة الفاضلة.

ومن بين أصول هذا البناء وأسسه المتينة التي شكلت معالم الحياة الطيّبة هو تقسيم المسؤوليات الحياتية بين الرجل والمرأة ومراعاة السمات الشخصية لكلٍّ من منهما، ومن ثَمَّ فقد شمل المنهاج:

١ـ مراعاة وضع المرأة البدني والنفسي.

٢ـ الإنصاف في تقسيم المسؤوليات، والمساواة في أنجاز الأعمال بينهما.

٣ـ تقديم الجانب الإنساني في التقسيم.

٤ـ ربط الوظائف الأسرية بالروح الإيمانية، وأثره في تكوين شخصية المرأة الفاضلة.

وعليه: فقد عالج المنهاج النبوي كثيرًا من المشاكل التي تقع في الأسرة بفعل الاتكال على الرجل وتحميله المسؤولية أو العكس فتكون المرأة هي من يتحمل عبء الحياة الأسرية أو التغرير بها عبر زرع بعض المفاهيم التي تتقاطع مع سماتها الشخصية والبدنية، فتضيع بذلك سمات الحياة الطيّبة ومعالمها في كثير من الأسر، ولاسيما ما نشهده اليوم من مفاهيم تجر بالأسرة إلى التردي الوظيفي، ووأد القيم التي كانت الأصل في تكوينها، والهدف من وجودها.

المسألة الأولى: مراعاة وضع المرأة البدني والنفسي في تقسيم المسؤوليات الأُسرية.

إنّ أوّل أصلٍ زرعه النبيّ صلى الله عليه وآله في تكوين الحياة الفاضلة للحياة الأسرية بين الإمام علي وفاطمة عليهما السلام فكان من معالم الحياة الطيّبة، هو مراعاته لوضع المرأة البدني والنفسي، وبما يتناسب مع تكوينها والمهام التي ستوكل إليها في عملية بناء الأسرة، وتحقيق أهدافها.

فقد كشف التراث الروائي لأهل البيت عليهم السلام عن هذا الأصل عبر الرواية التي أخرجها الحميريّ القمي عن الصادق، عن أبيه الباقر عليهما السلام، قال: "تقاضى عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فِي الْخِدْمَةِ، فَقَضَى عَلَى فَاطِمَةَ عليها السلام بِخِدْمَتِهَا مَا دُونَ الْبَابِ، وَقَضَى عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام بِمَا خَلْفَهُ، قَالَ: فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: فَلا يَعْلَمُ مَا دَخَلَنِي مِنَ السُّرُورِ إِلاّ اللهُ بِإِكْفَائِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله تَحَمُّلَ أَرْقَابِ الرِّجَالِ"((٣٣)).

وقد روى ابن أبي شيبة الكوفي الحديث مختصرًا عن ضمرة بن حبيب، قال: "قضى رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته فاطمة عليها السلام بخدمة البيت، وقضى على علي عليه السلام بماء كان خارجًا من البيت من الخدمة"((٣٤)).

ويظهر النصّ الشريف تحديد المسؤوليات لكلٍّ من الرجل والمرأة ضمن نطاق الحياة الزوجية التي جعلها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إحدى القواعد لتكوين الحياة الطيّبة، ولاسيما أثرها في تحقيق التوافق الزواجي، فجعل ما دون الباب وإلى داخل الدار هو من مسؤوليات المرأة وما خلف الباب، أي الخارج هو من مسؤوليات الرجل.

ومن ثَمَّ، فإنّ سياق الرواية يفيد بأنّ سرور فاطمة عليها السلام لم يكن لتحقق الراحة وكف العناء عنها بما يقوم به الرجل من جهدٍ في حمل الماء والحطب والطعام واستحصال موارد العيش، وإنّما لمكوثها في دارها وعدم تعرّضها للتعامل في كثير من المواطن التي يتحقّق فيها وجود الرجال، بدلالة استخدام النبي صلى الله عليه وآله، للفظ (الباب) بكونه الحد الفاصل في تحديد هذه المسؤوليات والتي تنسجم مع تكوين الرجل والمرأة من الناحية النفسية والبدنية فضلًا عن انسجام هذا التقسيم مع ما يترتب على المرأة من تكاليف شرعية، كالحجاب ومخاطبة الأجنبي وغيرهما.

وعليه، يكشف سرور فاطمة عليها السلام الكبير الذي عبّرت عنه بقولها: " فَلا يَعْلَمُ مَا دَخَلَنِي مِنَ السُّرُورِ إِلاّ اللهُ "، **هو لتحقق حشمتها، ودفع الضرر عنها، وهو ما ينبغي لكل امرأة الامتثال له كي تضمن حياةً أسريةً طيّبة.**

المسألة الثانية : الإنصاف في تقسيم الأعمال الحياتية

ترشد النصوص الشريفة الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى بيان أهمية اعتماد الإنصاف في تقسيم المسؤوليات بين الرجل والمرأة والمساواة بينهما في الأعمال الحياتية، وبما يتناسب مع البنية الجسدية والنفسية والتكاليف الشرعية المناطة بهما؛ فمّما قنّنته الشريعة من ضوابط عليهما يقتضي مراعاته في تقسيم الأعمال، وذلك لما له من أثار على خلق الحياة الفاضلة بينهما، فمنها:

١ـ أخرج الكليني (رحمه الله) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّه قال:

"كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب، ويستقي، ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن، وتعجن، وتخبز"(٣٥). **وتدلّ الرواية بوضوحٍ على التقسيم السوي في مسؤوليات الحياة الزوجية بين علي وفاطمة عليهما السلام، فثلاثة أعمال يقوم بها الإمام علي عليه السلام، تقابلها ثلاثة أعمال تقوم بها فاطمة عليها السلام.**

٢ ـ أمّا ما يرتبط بالإنفاق، وسعي الرجل لتوفير لوازم العيش، فقد قنّنه الإسلام وبما يتناسب مع قدرة الرجل ووسعه على الإنفاق، قال تعالى:

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾(٣٦).

وهنا يبرز أثر المرأة في مؤازرة الزوج وسعيها في إظهار معالم الحياة الطيّبة عِبْر القناعة بما قسم الله لهما من الرزق، فقناعتها كاشفة عن إيمانها بالله تعالى، وبها يتحقق الركن الثاني في تكوين الحياة الطيّبة، وهو ما حدّده النصّ القرآني بقوله تعالى:(وهو مؤمن).

وقد دلت النصوص الشريفة عن أئمّة العترة عليهم السلام عن هذا المَعْلَم في الحياة الأُسرية لعلي وفاطمة عليهما السلام في عدم تحميلها زوجها أدنى لوازم العيش وهو الطعام، فقد روى العياشي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: " إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام ضَمِنَتْ لِعَلِيٍّ عليه السلام عَمَلَ الْبَيْتِ وَالعَجِينَ وَالخُبْزَ وَقَمَّ الْبَيْتِ، وَضَمِنَ لَهَا عَلِيٌّ عليه السلام مَا كَانَ خَلْفَ الْبَابِ؛ نَقْلَ الْحَطَبِ، وَأَنْ يَجِيءَ بِالطَّعَامِ، فَقَالَ لَهَا يَوْماً: يَا فَاطِمَةُ، هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ:لاَ، وَ الَّذِي عَظَّمَ حَقَّكَ، مَا كَانَ عِنْدَنَا مُنْذُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ شَيْءٌ نَقْرِيكَ بِهِ. قَالَ: أَفَلاَ أَخْبَرْتِنِي؟ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله نَهَانِي أَنْ أَسْأَلَكَ شَيْئًا، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلِي ابْنَ عَمِّكِ شَيْئًا، إِنْ جَاءَكِ بِشَيْءٍ عَفْوًا، وَإِلاَّ فَلاَ تَسْأَلِيهِ"(٣٧).

تقدّم هذه الرواية أحد أبرز المعالم الدالة على الحياة الطيّبة في الحياة الأسرية للإمام علي وسيدة النساء فاطمة عليها السلام عبر القناعة بما يقدّمه زوجها من وسائل العيش وإنْ كانت في حدود الطعام ، فالأصل فيه هو الإيمان بما قدّر الله تعالى لزوجها من الرزق.

المسألة الثالثة: تقديم الجانب الإنساني في التقسيم

إنّ من البداهة بمكان أنْ يكون تقديم الجانب الإنساني في تقسيم المسؤوليات والأعمال من بين أهم المعالم الدالة على الحياة الطيّبة في الحياة الأسرية للإمام علي وبضعة النبوة فاطمة عليها السلام وذلك للسير على الطريق الذي حدده القرآن والسُنّة النبوية في خلق الحياة الفاضلة بين الزوجين، أي قاعدة المودة والرحمة والاهتمام بالمرأة ورعايتها وهو أمرٌ تضافرت به النصوص، ومنها ما أوصى به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام، وهو يضع له جملة من الضوابط والمعالم التي يسير عليها لخلق الحياة الطيّبة، فقد روى الشيخ الكليني(رحمه الله) عنه عليه السلام، قوله: "**لَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنَ الْأَمْرِ مَا يُجَاوِزُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْعَمُ لِحَالِهَا، وأَرْخَى لِبَالِهَا، وأَدْوَمُ لِجَمَالِهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ**"(٣٨).

ومن ثَمَّ، ترشد النصوص الشريفة إلى تقديم الجانب الإنساني في التعامل مع المرأة ولاسيما الزوجة بوصفها أحد ركني الحياة الأسرية، وهو ما ظهر جليًّا في تعامل الإمام علي عليه السلام مع شريكة حياته وأمّ عياله فاطمة عليها السلام، فقد روى الشيخ الكليني (رحمه الله) عن الإمام الصادق عليه السلام عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: "**كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام أَشْبَهَ النَّاسِ طِعْمَةً وسِيرَةً بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، وكَانَ يَأْكُلُ الْخُبْزَ والزَّيْتَ، ويُطْعِمُ النَّاسَ الْخُبْزَ واللَّحْمَ**"؛ قَالَ: "**وكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَسْتَقِي ويَحْتَطِبُ، وكَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام تَطْحَنُ وتَعْجِنُ وتَخْبِزُ وتَرْقَعُ**"(٣٩).

ويظهر النصّ الشريف مراعاة الجانب الإنساني في هذا المنهاج الأسري في تحمل المسؤوليات، فقد اختار عليه السلام العمل الذي يتسق ومقام الرجولة ويتلاءم مع تكوين الرجل البدني والنفسي في آنٍ واحد. فالمرأة بطبيعتها البدنية والنفسية لا تنسجم مع الاحتطاب، أي: تقطيع الحطب وحمله إلى البيت، أو أنْ تذهب لتحمل الماء وتأتي به إلى الأسرة، فضلًا عن ما يحتاجه الإنسان من كمية الماء في استخداماته الشخصية والأسرية ممّا يتطلب تكرار حمل الماء في اليوم الواحد أكثر من مرّة.

ومن ثَمَّ: فالضابطة الموضوعة في تقسيم الأعمال والمسؤوليات الأسرية ترتكز على الصلاح

لشأن الأسرة عبر معْلَم الأنصاف والمساواة ومراعاة المرأة.

المسألة الرابعة ـ ربط الوظائف الأُسرية بالروح الإيمانية وأثره في تكوين شخصية المرأة وخلق الحياة الطيّبة

من البداهة بمكان أن تأخذ الوظائف الأسرية مكانها من جسد المرأة وروحها، ولا سيما تعدّد هذه الوظائف وتنوعها ضمن عنوان الزوجية والأمومة، فضلًا عن تداخل الوظائف الأخرى حينما تكون المرأة ضمن دائرة العيش المشترك مع أهل الزوج كما يشهده المجتمع العراقي وغيره من المجتمعات وإنْ تفاوتت النسب والظواهر الاجتماعية، ممّا رتّب تراكمًا في الوظائف على عاتق المرأة وخاصّةً إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ الترويح عن المرأة مرهونٌ بإذن الزوج في الخروج من الدار.

ومن ثمّ فإنّ معالم الحياة الأسرية الطيّبة لأمير المؤمنين والسيّدة الزهراء عليهما السلام لم تكن بمعزلٍ عن هذه الظاهرة، أي تراكم الوظائف على عاتق المرأة، وآلية معالجتها عبر اللجوء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذ تفيد النصوص الروائية في مصادر الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رأى تراكم الوظائف الأسرية على بضعة النبوة فاطمة عليها السلام دون أنْ تشتكي إليه من ذلك، فأشار عليها أنْ تذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وتطلب منه أنْ يوفر لها خادمًا يعينها على أداء هذه الوظائف. لكن الأمر المفاجئ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عالج الأمر عبر ربط هذه الوظائف المتراكمة على عاتق المرأة بالروح الايمانية لها، وذلك لخلق الحياة الطيّبة بين الزوجين ضمن العيش المشترك المرتكز على ركني الإيمان والعمل الصالح الذي حددته الآية المباركة.

إذ ليس بإمكان كلّ زوجٍ أو أهل أنْ يعينوا ابنتهم على توفير ما يعين المرأة على أداء وظائفها وواجباتها الأسرية سواء عبر العامل البشري كالخادم أم عبر الوسائل الكهربائية الحديثية التي تستعين بها المرأة في عالم اليوم.

ومن ثَمّ فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عالج الأمر وقنّنه على مستوى التأصيل لمنهاج بناء الروح الإيمانية والعبادية للمرأة فهما الكفيلان بتقوية روح المرأة وتحملها على أداء واجباتها، وتكوين شخصياتها بمستوى أهل الفضل حتى عدّ حسن تبعلها جهادًا في سبيل الله لا يقلّ عن ضرب السيوف وتشاجر الرماح في معسكر الرجال.

وهو ما رواه رئيس المحدثين الشيخ الصدوق (رحمه الله) في الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال

لرجلٍ من بني سعد: " أَلَا أُحَدِّثُكَ عَنِّي وَعَنْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدِي فَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي صَدْرِهَا، وَ طَحَنَتْ بِالرَّحَى حَتَّى مَجِلَتْ يَدَاهَا، وَكَسَحَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، وَأَوْقَدَتْ تَحْتَ الْقِدْرِ حَتَّى دَكِنَتْ ثِيَابُهَا، فَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ ضُرٌّ شَدِيدٌ، فَقُلْتُ لَهَا لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِهِ خَادِمًا يَكْفِيكِ حَرَّ مَا أَنْتِ فِيهِ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ. فَأَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، فَوَجَدَتْ عِنْدَهُ حُدَّاثًا؛ فَاسْتَحْيَتْ فَانْصَرَفَتْ، فَعَلِمَ صلى الله عليه وآله أَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ لِحَاجَةٍ، فَغَدَا عَلَيْنَا وَنَحْنُ فِي لِحَافِنَا. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَسَكَتْنَا وَاسْتَحْيَيْنَا لِمَكَانِنَا. ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَسَكَتْنَا. ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَخَشِينَا إِنْ لَمْ نَرُدَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْصَرِفَ، وَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَيُسَلِّمُ ثَلَاثًا فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلَّا انْصَرَفَ.

فَقُلْنَا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ الله، ادْخُلْ. فَدَخَلَ، وَجَلَسَ عِنْدَ رُؤُوسِنَا، ثُمَّ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، مَا كَانَتْ حَاجَتُكِ أَمْسِ عِنْدَ مُحَمَّدٍ؟

فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ نُجِبْهُ أَنْ يَقُومَ، فَأَخْرَجْتُ رَأْسِي، فَقُلْتُ: أَنَا وَالله أُخْبِرُكَ يَا رَسُولَ الله، إِنَّهَا اسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي صَدْرِهَا، وَجَرَتْ بِالرَّحَى حَتَّى مَجِلَتْ يَدَاهَا، وَكَسَحَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، وَأَوْقَدَتْ تَحْتَ الْقِدْرِ حَتَّى دَكِنَتْ ثِيَابُهَا، فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِهِ خَادِمًا يَكْفِيكِ حَرَّ مَا أَنْتِ فِيهِ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ.

قَالَ: أَفَلَا أُعَلِّمُكُمَا مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنَ الْخَادِمِ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَنَامَكُمَا فَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً.

فَأَخْرَجَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام رَأْسَهَا وَقَالَتْ: رَضِيتُ عَنِ الله وَعَنْ رَسُولِهِ، رَضِيتُ عَنِ الله وَعَنْ رَسُولِهِ"(٤٠).

ورواه البخاري وغيره مختصرًا بهذا اللفظ: حدّثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن الحكم سمعت ابن أبي ليلى قال حدثنا علي عليه السلام: "إنّ فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله سبيٌ، فانطلقتْ فلم تجده، فوجدت عائشة، فأخبرتها فلما جاء النبيّ صلى الله عليه وآله أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبيّ ـ صلى الله عليه وآله إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبتُ لأقوم قال: على مكانكما. فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أعلمكما خيرًا ممّا سألتني إذا أخذتما مضاجعكما تكبّرا أربعًا وثلاثين، وتسبّحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثةً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم"(٤١).

ترشد الرواية الشريفة إلى بيان أثر استعانة الزوجين بذكر الله ولا سيّما المرأة على تحمل أعباء الوظائف الأُسرية وإنْ تراكمت وتضاعفت في خلق الحياة الطيّبة وذلك عبر بناء الروح الإيمانية لكلٍّ منهما؛ فيتحقّق بذلك الركن الأول لبناء الحياة الطيّبة وعبر إداء الوظائف الأسرية وأنجاز تكاليفهما معًا يتحقّق الركن الثاني

النتائج

١ـ كشفت المناهل المعرفية لمعنى مصطلح الحياة الطيّبة ومفهومه هو العيش الأفضل الذي يكون سمةً ودليلًا للآخرين في الاحتذاء والاقتداء، وهو ما قدمه الإسلام عبر الحياة الأسرية للإمام علي وسيدة النساء فاطمة عليهما السلام إلى الناس الكافة.

٢ـ إنّ التطوّر في علوم الاجتماع ولاسيّما علم اجتماع الأسرة والعائلة وغيرها من العلوم المهتمة بالنفس والتربية قد أظهرت أهمية (التوافق الزواجي) و (المودة بين الزوجين) في إنجاح الحياة الأُسرية الذي عُرف في السُنّة النبوية بـ (التكافؤ الزواجي) و قاعدة (المودة والرحمة) بوصفهما معلمين أساسين في الحياة الأسرية التي تسعى إلى الحياة الطيّبة وهو ما نراه سمةً وعلامةً للحياة الفاضلة في بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

٣ـ إنّ تقسيم مسؤوليات الحياة الأُسرية الذي وضعه النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام علي وسيدة النساء فاطمة عليهما السلام يرتكز على مراعاة السمات الشخصية لكلٍّ منهما، والمساواة بينهما في الأعمال، وتقديم الجانب الإنساني في التقسيم قد شكل أصولًا لبناء الحياة الفاضلة ومعالمًا للحياة الطيّبة التي أرادها تعالى مثالًا للأسرة المسلمة.

٤ ـ إنّ الإستعانة بذكر الله تعالى على أعباء الحياة يعد عنصرًا أساس في تحقق الحياة الطيّبة بين الزوجين وذلك عبر ربط الوظائف الأسرية بالروح الإيمانية وهو ما نراه شاخصًا في الحياة الأُسرية لعلي وفاطمة عليهما السلام، فقد قنّنَ النبيّ صلى الله عليه وآله لهما الإلتجاء إلى ذكر الله تعالى بتعليمها ما هو خير لهما من الخادم، أي التسبيح الذي عرف بين المسلمين بتسبيح فاطمة عليها السلام فكان من بين أهم معالم الحياة الطيّبة.

تم بحمد الله تعالى وصلى الله على محمّدٍ وآله الطاهرين.

الهوامش

١- الطبرسي، الفضل بن الحسن، الاحتجاج: خطبة الزهراء عليها السلام، ١/ ١٣٢.
٢- نهج البلاغة، الخطبة الثانية.
٣- لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[البقرة/ ٢٢٩].
٤- لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء/ ٢٠ -٢١].
٥- الروم/ ٢١.
٦- يوسف/ ٧٦.
٧- هود/ ٨٨.
٨- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١٢/ ٤٢٠.
٩- النحل/ ٩٧.
١٠- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ٦/ ٢٣٢٣.
١١- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، / ٥٦٦.
١٢- نهج البلاغة، الشريف الرضي: الحكمة (٢٢٩).
١٣- الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ٢٧٥.
١٤- الحاكم النيسابوري، محمدبن عبدالله، المستدرک، ٢ / ٣٥٦ ؛ شعب الإيمان، البيهقي، ٧ / ٢٩١.
١٥- عقلة، محمد، نظام الأسرة في الإسلام، ١٨.
١٦- م.ن.
١٧- بيري، الوحيشي أحمد، علم الاجتماع العائلي، ٥٨.
١٨- بوطالب، عبد الهادي، أزمة القيم ودور الأسرة في تطوير المجتمع المعاصر، فصل: مفهوم الأسرة ووظيفتها، ١٥٨.
١٩- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ٤/ ١٩ - ٢٠ الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ١٣/ ٦٠ ؛ المعجم الوسيط في اللغة، ١/ ١٨ ، جميعا في مادة: أسر.
٢٠- آل عمران/ ٣٣ - ٣٤.
٢١- الشعراء/ ٢١٤.
٢٢- التحريم/ ٦.
٢٣- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، باب: من فضائل علي عليه السلام، ٧/ ١٢٣.
٢٤-نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة (٩٤).
٢٥- الروم/ ٢١.
٢٦- بوطالب، عبد الهادي، أزمة القيم ودور الأسرة في تطوير المجتمع المعاصر، فصل: مفهوم الأسرة ووظيفتها، ١٧٦.

٢٧- م.ن، ١٧٥.
٢٨- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١ / ٤٦١ ؛ الصدوق، محمّد بن عليّ، الأمالي، ٦٨٨
٢٩- دسوقي، كمال، علم النفس ودراسة التوافق، ٣٨٥.
٣٠- الخولي، سناء، الزواج والعلاقات الأسرية ، ١٩٠.
٣١- بيومي، محمد، سيكلوجية العلاقات الزوجية ، ١٧.
٣٢- م.ن، ٢٩.
٣٣- الحميري القمي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد ، ٢٥.
٣٤- ابن أبي شيبة، أبو بكر، المصنّف، ٦/ ١٠، برقم (٢٩٠٦٩).
٣٥- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٨/ ١٧٦؛ الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي ص٦٦١.
٣٦- الطلاق/ ٧.
٣٧- العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ١/ ١٧١.
٣٨- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٥ / ٥١٠.
٣٩- م.ن، ٨ / ١٦٥.
٤٠- العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين، مفتاح الفلاح، ٢٧٦؛ الصدوق، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، ٢/ ٣٦٦؛ الصدوق، محمّد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه، ١/ ٣٢١؛ الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ١٢/ ٦٧؛ الطباطبائي، تفسير الميزان، ٦/ ٣١٢.

٢. أخرجه البخاري في أكثر من باب، وهي: باب دعاء النبيّ ﷺ، وباب مناقب المهاجرين والأنصاري، وباب النفقات، وفي كتاب الدعوات؛ وأخرجه أحمد في المسند: العطاردي، عزيزالله، مسند علي بن أبي طالب ﷺ: ١/ ٩٦؛ ابن حبّان، علي بن بلبان، صحيح ابن حبّان، فارسى، ١٢؛ البيهقي، أبو بكر، شعب الإيمان، ١/ ٤٢٦، برقم ٦٠٨.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* **نهج البلاغة**، تحقيق صبحي الصالح، ط١، ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧ م، بيروت.
* ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، قم ـ إيران، مطبعة نشر أدب الحوزة، محرم الحرام ١٤٠٥هـ.
* ابن حبّان، محمد بن حبّان، صحيح ابن حبّان، المحقّق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣.
* الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، عمر سلامي، عبد الكريم حامد، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
* البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، ١٩٨١م.
* بوطالب، عبد الهادي، أزمة القيم ودور الأسرة في تطوير المجتمع المعاصر، الرباط/ المغرب، ٢٠٠١م.
* بيري، الوحيشي أحمد، علم الاجتماع العائلي، الطبعة الأولى، طرابلس ـ ليبيا، الناشر: منشورات الجامعة المفتوحة الجماهيرية العربية الليبية، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م..
* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد سعيد بسيوني، ط١، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية.
* الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: د. اميل بديع يعقوب، ط١، بيروت لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ.
* الحاكم النيسابوري، أبوعبد الله محمد بن عبدالله، المستدرك على الصحيحين، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار المعرفة.
* الحر العاملي، محمد بن حسن، مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات والآداب، بيروت – لبنان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
* الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل بيت عليهم السلام لإحياء التراث.
* الحميري القمي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، قم المقدسة ـ إيران، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
* خليل، محمد محمد بيومي، سيكلوجية العلاقات الزوجية، القاهرة ـ مصر، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
* الخولي، سناء، الزواج والعلاقات الأسرية، الإسكندرية ـ مصر، الناشر: دار المعرفة الجامعية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
* دسوقي، كمال، علم النفس ودراسة التوافق، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار النهضة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
* الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه القمي من لا يحضره الفقيه، الشيخ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة الطبعة: الثانية.
* ـــــــــــ، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، قم المقدسة ـ إيران، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
* ـــــــــــ، علل الشرائع، النجف، الناشر: منشورات

المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
* الطبرسي، رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل، الاحتجاج، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، الطبعة السادسة، قم المقدسة ـ إيران، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
* الطوسي، محمد بن الحسن بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، قم المقدسة- إيران، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
* عقلة، محمد، نظام الأسرة في الإسلام، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار الرسالة للطباعة والنشر والإعلام، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
* العياشي، أبو النصر محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، الناشر: مؤسسة العلمي للمطبوعات، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
* الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، ط٥، طهران ـ إيران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٩هـ.
* الكوفي، ابن أبي شيبة، المصنّف، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، بيروت – لبنان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.
* مصطفى، إبراهيم، وأحمد حسن الزيات، ومحمد علي النجاء المعجم الوسيط، الطبعة الأولى، تركيا، دار الدعوة لسنة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
* النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار الفكر.